

# حوار حول الحب

شخصيات المحاوراة:

سليمان

صونيا

ليلى

ريتا

حسام

صونيا: أرَّحِبْ بكم في هذا الصالون الأدبي المتواضع الذي استطاع أن يجمع عن غير مصلحة ويؤلف على غير منفعة، فكأنه في هذا الزمن الرديء برهان أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان وليس بدافع المنفعة وحدها يرغب ويسعى سعياً خيراً.

حسام: دائماً كنت أسأل نفسي هل يليق بالمرأة الجميلة أن تتأبط الوقار رفيقاً وتقول بلهجة رصينة كلاماً وزنته قوانين المنطق وأحكمت صنعه يد العقل أم الأجر بها أن تنفقه بكلمات مجنحة تنقض على الأذان كانقضاض الغازي على طريدته، وأن تلون كلماتها كي تغوي الآخرين فيغدو الناظر إليها مفتوناً منجذباً لنداء الرغبة والسامع كلماتها مندهشاً منخبلاً كأنه مسحور. رأيي بإيجاز، المرأة الجميلة التي لا تغوي الآخرين بجمالها وتستفز مشاعرهم وعقولهم على الإبداع وربما على التعهّر ليست امرأة على الإطلاق. إنها حفنة تراب بل التراب أفضل منها وأشرف.

ليلي: تعجبني كلمة غواية، تحرك أحاسيسي بمدّ وجزر كما يفعل القمر بماء المحيطات. كم كانت أمنا حواء عظيمة عندما أغوت آدم. كان مخلوقاً تافهاً تحكمه الضرورة وعندما أغوي فاستغوى رفض الأوامر وتمرد فاكتمت حريته وغدا انساناً.

سليمان: بل لنقل غدا أخلاقياً وعقلانياً وأكثر قرباً من الله برفضه لأوامره.

ريتا: فهمت ماذا قصد حسام بالجمال الذي يستفز على الإبداع وفهمت ربطه في أعماق نفسه بين الإبداع والتعهّر، فأنا أعرف حسام جيداً وأعرف أن أكثر الشعراء أمثاله إذا لم نتسامح معهم في بعض تعهّره إزورت عنهم عرائس الأبداع وانتكسوا على أعقابهم خائبين. ولكني لا أفهم أبداً صديقنا سليمان أن الإنسان برفضه لأوامر الله أصبح أكثر قرباً منه.

سليمان: عندما كان الإنسان محكوماً بالضرورة لم يكن يملك عقلاً يميّز به بين الحق والباطل والخير والشرّ والجمال والقبح ولذلك لم يكن يختار عمله. وأظنك تعرفين أن العقل ليس إلا القدرة على الاختيار. إختيار الفعل هو خلقه ولذا كان الإنسان المحكوم بالضرورة عبداً لله مملوكاً وعندما اختار أفعاله شارك الله في عملية الخلق والإبداع فأصبح بهذه المشاركة أكثر فهماً لماهيته وأكثر إحساساً بعظمته.

صونيا: الغريب في صديقنا سليمان أنه يملك قدرة على جمع ما تناقض وتقریب ما تباعد. فهو يقول أن الإنسان عندما رفض الأوامر الإلهية واستجاب للغواية غدا أخلاقياً وعقلانياً وسيّداً حرّاً مسؤولاً، فليت شعري، ما رأي الوعاظ بهذه المقولة؟

سليمان: الوعاظ يمتلكون فكراً خطابياً يحاكي المشاعر والغرائز بأسلوب التريغيب

والترهيب، فما علاقة هؤلاء بالحقائق اليقينية التي تعتمد البراهين المنطقية؟  
حسام: مهلاً مهلاً، أنا لا أسمح بالخط من قيمة المشاعر والغرائز. فالمشاعر  
والغرائز الأصلية التي تحاكي قوانين الطبيعة هي أشياء مقدسة وتمتلك الحقائق  
اليقينية لأنّ قوانين العقل وبديهياته برأيي هي نفسها قوانين الطبيعة. أليس العقل  
الكلّي هو الذي نظم الطبيعة وجعلها تتحرك بأحكام الضرورة؟  
سليمان: كلامٌ صحيحٌ، لا أحد يستطيع أن يدّعي أنّ القوانين الطبيعية وقوانين  
العقل في تضاد. ولكنّ الطبيعة الإنسانية تزيّفت بفعل غرائز مصنّعة ركبته نفوس  
شريرة عبر الأجيال وأصقتها بالطبيعة البشرية وكأنها غرائز أصلية. وبالتالي  
نحن الآن بحاجة إلى عمليات نقد ذاتي وإجماعي واسع لنميّز بين الغرائز الطبيعية  
والغرائز المصنّعة.

ليلي: أنا مثل توما لا أعني وأقتنع حتى أضع أصبعي. عليك أن تقدّم أمثلة عن  
الغرائز الطبيعية والغرائز المصنّعة الدخيلة.

سليمان: في جعبتي كثيرٌ من الأمثلة وأقربها إلى المتناول اللذة الجنسية، إنها لذة  
طبيعية ولا شكّ ولكنّ الإنسان وحده بين الكائنات الحيّة استعملها بأسلوب مبتذل  
فجعل منها لذة مصنّعة في أكثر جوانبها. إذا راقبنا جميع أنواع الحيوانات رأينا  
أفرادها يمارسون هذه اللذة في مواسم معينة مندفعين بقوانين طبيعية هي في  
حكم الضرورة من أجل هدف تحرص عليه طبائع الموجودات بأكملها وهو النشوء  
والتوليد. فالمخلوقات الفانية تسعى بوعي وبلاوعي إلى الخلود وتكون اللذة الجنسية  
بأباً تلج منه إلى التولد والنشوء بغية خلود النوع طالما أنّ خلود الكائنات الفردية  
مستحيل. الإنسان وحده يمارس اللذة الجنسية في كل الأوقات وبقصد اللذة البحتة  
المفصولة عن عملية التوليد والنشوء "بل يمارسها أحياناً كحركة عبثية ليس بهدف  
شيء". لأنّه يخلق فعله بملء إرادته واختياره، وكما ترون أنه يخالف قوانين  
الطبيعة عن سابق إصرار ومعرفة ويختلق الذرائع لتسمية الأشياء بغير أسمائها.

حسام: تريدنا أن نمتنع عن ممارسة الجنس إلاّ لغاية التوليد والخلود النوعي لنكون  
منسجمين مع قوانين الطبيعة؟ قرقوش نفسه لم يجروء أن ينطق بهكذا حكم. رهبان  
القرون الوسطى لم يصل عقلهم المريض إلى هكذا اجتهاد في الكبت والتزمّت.

ليلي: سليمان، أنت بلا شكّ مريضٌ بجسدك أو بنفسك وتستحق اهتمامنا ورعايتنا.  
حتى الأصوليون في هذه الأيام يجيزون الكثير من التعاشر خارج الزواج بين الرجل  
والمرأة. لقد أخبرني أحدهم عن فنّ جديد في التعاشر اسمه المفاخدة.

سليمان: أيها الناس أروعوا واتقوا الله. إني أقول أنه في الأصل وعندما كان الإنسان

كغيره من الكائنات الحيّة محكوماً بالضرورة كان حتماً يمارس الجنس حسب القانون الطبيعي للكائنات الحيّة أي في مواسم معينة بغية التولّد والنشوء. ولكن الإنسان عندما خرج عن حكم الضرورة وأصبح يختار أفعاله بعقله الذي اكتسبه بعد طول معاناة غدا يمارس اللذة الجنسية كما يحلو له ويضع الذرائع التي تحلو له. هل هو بعمله هذا منسجمٌ مع قوانين الطبيعة، حتما لا. بقي الشيء الآخر من السؤال هل قوانين الطبيعة هي نفسها قوانين العقل؟ الجواب برأيي أن قوانين العقل في أنقى مظهراتها لا تناقض قوانين الطبيعة ولذلك برأيي المتواضع الترهّب الكليّ مخالفٌ لقوانين الطبيعة، والممارسة الآليّة والعبثية مخالفة أيضاً، وكلما اقتربنا من الاعتدال اقتربنا من الحقيقة العادلة.

صونيا: تذكروا أيها السيدات والسادة أنّ جلستنا هذه الليلة مخصصة للتحاور في موضوع الحبّ بماهيته وتمظهراته. هل نسيتم ماذا كتب على بطاقة الدعوة؟ حسام: عندما تحدثت عن الجمال الذي يغوي الآخرين ويستفزهم على الإبداع والتجاوز بل على التعهّر كنت أهّيء تمهيداً حسناً للتحدث عن الحبّ. سليمان: وأنا بدوري عندما تحدثت عن المخلوقات الفانية التي تسعى وتتاضل من أجل التولّد والنشوء للحصول على الخلود النوعيّ كنت أستلهم فكرة الحبّ في بعض جوانبها.

صونيا: فلنجعل الحوار ينتظم في مقدمات تجعلنا نحصل على نتيجة. هل تريدون أن يقدم كل واحد منكم خطاباً عن ماهيّة الحبّ وتمظهراته؟ اذن فلنبدأ بليلى. ليلى: لقد درجنا على عادة إكتسبناها بسبب تكويننا الفكريّ وهي أن نراقب في الأفراد ما لديهم من صفات مشتركة يحققون بها نوعهم الإنسانيّ. أمّا الخصائص الفرديّة في كل كائن فهذا ما لم نهتم به أبداً. أنا شخصياً أراقب حياتي الداخلية في تفرد صيرورتها. أراقب تحركاتها قبل أن يكون العقل قد تدخل ليخضعها لمنطق لم يكن فيها سابقاً. وبناءً عليه الحبّ والبغض بالنسبة لي حركة طبيعية كما حركة المدّ والجزر. تصرخ الخلايا في كياني معلنة انجذابها إلى أحد الناس. لا أسألها ما سبب انجذابك؟ هل أعجبتك فتوة هذا الرجل؟ هل أعجبك وقاره، هل هي البذلة الجميلة، كل هذا لا يهمني لأنّ نشاطي يكون في حالة تركيز على الطريقة التي سأتواصل بها معه وأختبره عن قرب وكتب، وقد ينتهي التواصل بعملية انصهار أو قد تنتهي بتنافر يبعثني من جديد.

صونيا: أفهم من كلامك أنك تهتمين بالموجود الفردي كموجود لا بخصائص النوع والجنس. كما أظنك لا تؤمنين بالماهيات السابقة للموجودات والتي تقاس

الموجودات عليها بل توجد الموجودات ثم تفرز ماهياتها من خلال صيرورة معاناة وجودها.

ليلي: هذا ما أردته بالضبط. نحن نوجد أولاً ومفاهيمنا يجب ألا تكون مقولات جاهزة يملؤون بها عقولنا وتنسحب لاحقاً على تصرفاتنا. بل نتصرف ونعاني ونستلهم مفاهيمنا من خلال ما عانيناه. فإذا كان الحبّ بدايته إنجاباً يولد الرغبة وبنهايته محاولةً للتملك والتفرد بهذا التملك فالحبّ برأيي شريراً، ظالمٌ، عدوانيٌّ لأنّ العاشق يحاول أن يملك إنساناً آخر ليس أن يملكه كما يملك أيّ شيء. بل أن يملك حريته أي يملك عقله، أي بعبارة أخرى أن يلغي وجوده بواسطة ذاته ليغدو المعشوق موجوداً بواسطة عاشقه. هذا الشيء لا يصدق العقل، إنّه عملية مصادرة إرادة إنسان حرّ وتحويله إلى عبد مملوك والقيام بعملية خصي لعقله وإرادته وتحويله إلى ظلّ. لا يوجد برأيي إنسانٌ يستحق عقوبةً قاسيةً

وإصلاحيةً أكثر من العاشق الموله. والرجل عبر التاريخ لعب هذه اللعبة القاسية مع المرأة، صادر روحها وعقلها وإرادتها وحولها إلى ظلّ بحجة أنه يحبها ويغار عليها ولا يطيق لها فراقاً. دعوني أيها السادة أنهي خطابي في الحبّ بكلمتين. الحب من بقايا عصور العبودية وبيع الإنسان في أسواق النخاسة. دعونا نكتل قوانا ونجمع جهودنا لمحاربتة وندع الصداقة المبنية على التجاذب المتبادل نتيجة ظهور قواسم مشتركة في الأنواق والأحاسيس والغايات وأنظمة العيش والعمل والتفكير تحلّ محلّ الحب.

صونيا: كلّ الذين يغالون في أفكارهم يسببون لي القلق، أخاف أن أصحو يوماً فأراهم في الجانب الآخر المعاكس تماماً لطروحاتهم السابقة. ألم يقل لنا علم الفيزياء بأنّ لكل فعل ردّة فعل تساويه في القوة. دائماً أخشى من إنقلاب الثوريين المغالين إلى أصوليين متطرفين وتاريخنا الحديث أعطى أمثلة كثيرة حيّة تبرر لنا مخاوفنا لنتابع خطاباتنا. الآن دور ريتا في الكلام.

ريتا: الحبّ برأيي المتواضع هو شوق الروح الإنسانية إلى الجمال بالمطلق والجمال الإنسانيّ بالتخصيص. أنظر إلى كائن إنسانيّ أكون قد التقيته في حفلة أو في ندوة فيلفت نظري التآلف في أعضاء جسمه، إنسجام لون البشرة البيضاء المشربة بقليل من السمرة مع لون الشعر الأسود والعينين السوداوين أصابع اليدين الطويلة والرقيقة مع الساعد المفتول القويّ والكتفين العريضين والعنق المائل إلى الطول. أقول لنفسي بورك الجمال في هذا الجسد كآني أرى فيه قبساً من جمال الألوهة، عندها أقرب من الرجل لأنتهز فرصةً تسنح لمجاذبته أطراف الحديث.

أقول لنفسي إذا كانت أفكار هذا الرجل متناغمة متألّفة كأعضاء جسده فهو حتماً رجلاً جديرًا بالحبّ. الحب برأبي أيها السادة ليس حبّ الشيء لذاته بل لصفات الجمال الموجودة في ذهننا والتي نلمح بعض أثارها فيه. أنا أحب الجمال في هذا الرجل وليس الرجل ذاته وأحبّ الجمال في هذا المنظر الطبيعي وليس المنظر الطبيعي ذاته وهنا تختلط الأمور في رأسي فمرةً أظنّ الكائنات الجميلة تمظهرات لله في هذا الوجود فأحبه فيها وأعبده فيها، ومرةً أظنّ الكائنات الجميلة استطاعت أن تتعق من مادة تكوينها البشعة المتناقضة فغدت أكثر قرباً من الله فأحببتها لأنها أكثر قرباً.

في الصيف الماضي كنت ورهطاً من أصحابي نزور أرز الباروك لفتت أرزة معينة نظري بتناسق امتداد أغصانها وانسجام المسافات بين تلك الأغصان، شعرت فجأةً بفيض من العاطفة فرأيت نفسي أطوق الشجرة بذراعيّ وأشبعها قبلات حارة وعيوني تترقق بدموع تكاد تضيء. ضحك أصحابي مني وأخذوا يؤلفون الطرائف والنكات ولكني لم أهتم، كنت مشغولةً عن الجميع بأحاسيسي الجميلة وها أنا الآن عندما أتذكّر تلك اللحظات أشعر بأحاسيس نبيلة تجتاحني. إنني أعتقد أيها السادة أنّ الحبّ يجعلنا نحسّ أحاسيس نبيلة ونعيش الحياة بمبادئ نبيلة. الحبّ يخلق روح الفروسية وبحاجة إلى فرسان.

سليمان: أفهم من كلام ريتا أنها وليلى على طرفي نقيض. هذه تؤمن بأنّ الشيء لا يكون جميلاً بذاته بل بماهية الجمال المطلق التي يحلّ بعضها فيه، وتلك بوجود الشيء أولاً ثم تكوّن جماله أو قيمه عبر معاناة وجوده في تقلبات الصيرورة.

حسام: الشيء الذي فهمته أنا هو التحسّر وصريف الأسنان لأن الله لم يخلقني شجرة أرز متناسقة الأغصان لتضميني ريتا بذراعيها البيضاء اللتين تسري فيهما بعض حمرة النبيذ وتمسح بوجهها على صدري وعندها لن تجد ما تقوله لأنني سأكون مشغولاً باعتصار شفثتها واستحلابها آخر قطرة من شهد الرضاب. ليلي: أنتم الرجال الشرقيون دائماً تهلوسون فكلامكم ليس إلا أضغاث أحلام. حتى إنني بتّ من كثرة ما أرى وأسمع مقتنعةً بأنّ الحشاشين والمهلوسين نوعان، نوعٌ يحشش بالكوكايين والهرويين ويهلوس ب آل أس دي. ونوع يحشش بالفكر الغيبي ويهلوس بأمان وأحلام تفرزها عقد الكبت والقمع التي عمرها في هذا الشرق آلاف الأعوام.

ريتا: ولكن حسام شاعرٌ طيّبٌ ومبدعٌ يستحق مني ضمةً ناعمةً وقبلةً على الجبين فالشعراء كالأطفال دائماً يحتاجون إلى عطف ورعاية.

صونيا: أتريدون أن أسكب لكم مزيداً من النبيذ قبل الإنطلاق قدماً في محاورتنا. لقد اتفقنا منذ البدء أن نشرب باعتدال ولا يوقع أحد نفسه في ورطة السكر، وأظنني سمعت سليمان يقول إنّ العدل ليس إلا المزيد من الإعتدال.

حسام: الواقع أننا بحاجة إلى كأس أخرى، لا شيء يحرك قرائح الرجال كالخمرة والسيدات الجميلات اللواتي يستأنس الرجال بلباقة أحاديثهنّ وغواية أنوثتهنّ. صونيا: دعك من هذه الترهات وتهيأ للحديث فأنت الآن المعني بالكلام.

حسام: قرأت مرة كلاماً للفيلسوف اليوناني ديموقريطس يقول فيه بما معناه، إنّ الكون مؤلفٌ من ذرات تسبح في بحر لا متناه من الفراغ، تتجاذب هذه الذرات وتتألف فتولد المجرات والكواكب والمجموعات الشمسية وتتنافر فينهدم ما تركب وينهار ما كان قائماً وتعود الذرات من جديد إلى بحر فراغها ألا متناهي. أستنتج من هذا الكلام أنّ تاريخ الموجودات هو تاريخ حبّ وبغض. بالحبّ تتجاذب الموجودات وتتألف فيكون الوجود، وبالبغض تتنافر وتتفكك فيكون العدم. الحبّ أيها السادة هو منظّم هذا الوجود أو إذا تكلمنا بلغة الصديق سليمان، هو الذي يجعل ممكن الوجود موجوداً بالفعل.

ريتا: كنت أتوقّع سماع الفلسفة من الجميع إلا من حسام، أنت تخدعنا يا رجل توحى إلينا بأنك شاعرٌ يوحى له من عرائس الجنّ وعاهرات العالم السفليّ ثم تكشف عن وجهك الحقيقيّ فأذا أنت مشبّع بالفكر الفلسفي كما الإسفنجة المرمية بالماء. رجلٌ مخادعٌ!

صونيا: كأنك تشعرين بالإحباط نتيجة ذلك، هل كنت تحلمين بحسام شاعراً يبني مملكته في عالم اللاّ معقول وأنه سيأتي يوماً على صهوة جواده الأبيض لابساً الثياب الأرجوانية باسم الثغر طلق المحيا يردفك وراءه ويطيّر بك إلى بلاد الواق واق حيث البيوت مغاور زمرد وياقوت والحدايق أشجارٌ تزهر الرغبات وتثمر اللذات المحمومة؟

ريتا: لا تكوني ساديةً تستمرئين تعذيب الآخرين بجلدهم بكرابيح الاتهامات. ما أنا إلا عاشقة جمال مطلق كلما رأيته يتمظهر في كلمة ملونة أو ابتسامة مضيئة إختلج قلبي ونبض بعنف.

حسام: وضعتوني على المشرحة وعلمت سكاكينكم في لحمي الحيّ ولم تسمحوا لي حتى بالأعتراض. دعوني أكمل كلامي أولاً وبعدها مارسوا طقوس النقد التي تحلو لكم.

ريتا: تفضّل تفضّل وإن كان الإناء قد نضح بما فيه.

حسام: أريد أن أوجه سؤالاً للسيدة ريتا وللجميع. إذا كان الواحد منا يملك جسماً سليماً ألا يحاول أن يمنع أيّ عنصر فاسد من الدخول إليه، إذا كان إنساناً عاقلاً؟ ريتا: طبعاً هذا الشيء بديهيٌّ فالصحة تثمر السعادة وكذلك تثمر الجمال فمن منا يرغب في تدمير جسده وسعادته وجماله.

حسام: نحن على اتفاق تام، ولكن لنسأل أنفسنا هذا السؤال، ما هو الجسد السليم الصحيح، أوليس هو الجسد الذي جميع أعضائه متألّفة وتعمل متناغمةً منسجمةً؟ ريتا: هذا كلامٌ بديهيٌّ.

حسام: إذن التناغم في أداء العمل يثمر الصحة والسعادة والجمال وبالعكس التنافر بين الأعضاء في أداء العمل يثمر المرض والشرّ والتعاسة والقبح. وبما أنّ التناغم هو العمل بناءً على قوانين طبيعية عادلة وعاقلة تعمل الأعضاء على أساسها، يكون الإستنتاج الطبيعيّ أنّ محاكاة قوانين الطبيعة والعقل تثمر السعادة والخير والجمال. صونيا: هذا طبيعيٌّ وقد أشار إليه سليمان من قبل، فأنت لم تكتشف البارود ولم تأت بجديد.

حسام: كلامٌ صحيح، ولكن دعوني أكمل وأقول بأنّ صحة النفس هي تماماً كصحة الجسد إذا ملكتها يجب أن نحافظ عليها ونمنع أيّ فساد بالتسلل لنبقي عليها نفساً سعيدةً جميلةً وعادلةً.

ليلي: ولكن في النفس طبائعٌ متضادّةٌ ورغباتٌ متنافرةٌ فكيف يمكن التوفيق بين هذه المتضادات وإرضاؤها جميعاً؟

حسام: هذا معلف الفرس وهنا يا سيدتي الجميلة يأتي دور الشعر المستلهم من الحبّ العظيم.

صونيا: لقد أثرت فضولنا ولهفتنا هيّا قل ما تريد أن تقوله.

حسام: مهما تغلسف المتغلسفون في تعريف الشعر وتحديد ماهيته فإني كشاعر لا أفهم الشعر إلاّ كلمات لها إيقاعٌ موسيقيٌّ له علوقٌ بالنفس وتأثيرٌ على أحاسيسها ومشاعرها. الموسيقى أيها السادة هي النخاع الشوكي للشعر وكما تعلمون الموسيقى هي إيقاعٌ والإيقاع لا يكون في أغلب الأحيان بين نغمات موسيقية من نسق واحد وصنف واحد كأن تكون النغمات الموسيقية طويلةً كلها لتتألّف أو قصيرةً كلها لتتألّف. فالتألّف يكون غالباً بين نغمات طويلةً وأخرى قصيرةً وبعضها حادة لها صوت رنين الذهب على الرّخام، وبعضها خافتةٌ لها صوت أجنحة الفراش وانسياب الثوب المخمليّ على جسد أميرة بحسنا ودلالها. الشاعر الملهم هو الذي يوفق بين نغمات متضادّةً وأحاسيس متضادّةً ليجعل منها إيقاعاً متألّفاً. وقرأ شعره أناسٌ



متضادّون بطبائعهم فيختلج الفرح فتّي أحاسيسهم جميعاً، ويصبحون تحت مظلة الشعر متألفين. صدقوني إذا قلت لكم أن الشاعر الملهم يساهم بقوة في بناء متحد إجتماعي ناجح. أسمعوا رجال السياسة هذا الكلام وقولوا لهم إنّ جوهر السياسة شعراً فالقائد الذي لا يعرف كيف يوفّق بين المتضادات ويؤالف بين المتنافرات الأجدر به أن يكون تاجر كشّة لا قائداً.

الشعر جوهر هذا الوجود ولذلك دعوني أعبر عن أحاسيسي وأقول إنّ تدمر ريتا الذي يطلّ لمعة قلق من عينيها الناعستين ويتناغم مع رعشة شفيتها الناضجتين بهذا الإحمرار المائل قليلاً إلى السواد وهذا العنق العاجي الرقيق المائل قليلاً إلى الطول وهذا الصدر الناهد الذي يرغي خصبا ويزبد رغبات مجنحة. يا إلهي إنه إيقاع قصيدة كلماتها اللحم والدم الجاذب برعشة الحياة فيه وأنس العقل، إنها قصيدة ترندح بها ريتا فتننتشي حواسنا بموسيقاها الداخلية والخارجية. من قال لكم إنّ الشعر والحبّ ليسا وجهين لحقيقة واحدة.

ليلي: كنتا نتوقع التنظير الفلسفيّ من سليمان فإذا به يأتي من حسام، لا شك أنّ الزمان يمشي على رأسه وليس على قدميه. ولكن يا صديقي كيف استطعت أن تدخل سراديب العالم السفليّ وتخرج حيّاً؟ قلت إنّ الشعر هو في التآلف بين المتضادات وربطت الشعر بعلم الطبّ في ذلك لأنه حسب معرفتي المتواصلة أنّ علم الطبّ في جوهره ليس أكثر من التآلف بين متضادات الطبائع، الحار والبارد والرطب واليابس وصنع معادلة تتوازن فيها هذه الطبائع فيثمر توازنها صحة وعافية، وفاجأتني حقّاً بهذه الفكرة الإبداعية بأنّ الشعر ليس إلا التوازن والتناغم بين أصوات موسيقية وأحاسيس هي في أصلها متنافرة متضادة. ولكني أعلم أنّ وظيفة العقل هي نقل الأمور من حالة الفوضى والتضارب إلى حالة النظام والتآلف فهل جعلت بتنظيرك الشعر جوهر العقل أو العقل جوهر الشعر؟ ونحن بثقاقتنا الكلاسيكية تعلمنا بأنّ الشعر مربوط بالشعور ولا علاقة له بمنطق العقل وقوانينه الصارمة وبديهيّاته. وعندما عرفت الحبّ أعطيته نفس المهمات التي أعطيتها للعقل أي تقريب ما كان متباعداً وتنسيق ما كان مشوشاً وتنظيم ما كان متضاداً. أنّك حقاً شيء رائع يا حسام مع اني أشك بأن ما تقوله يخرج من قلبك لا من لسانك. تصورت لبعض اللحظات وكأنك تردّد كلاماً حفظته منذ زمن بعيد وبأنك أنت الآن لا تدري معناه.

حسام: كنتا مرةً في جلسة أنس تداعبنا حمياً الخمرة على وقع غناء دافىء مخمليّ وقدود راقصة تتلوى مغانجةً ونحن بدورنا نداعب خواصر الكلمات وأرداف

العبارات الملونة. وقف يومها رجلٌ ليقول صنفان من الناس لا أحترمهما الشعراء والمنتنبئون. وتعجّب الحضور وكاد البعض يردّ بعدوانيّة ولكننا بفضل الخمرة والجمال المؤنس لجمنا أفراس غضبنا وقلنا كلنا هات إشرح لنا يا صاح، وإذا كان شريكك يفتقر إلى الحجج نبذناك لأنك حاولت أن تكدر صفو جلستنا بكلامك الإستقزازي. ضحك الرجل وأخذ يتكلم وبلهجة ملؤها الثقة والاحساس بالنصر.

قال: أي فضل للمنتبئين والشعراء إذا ما كانوا مجرد صلة وصل بين عقل الله وأذان البشر. أنا أعرف أن قيمة الشيء تقاس بمدى معاناتنا له. بأن نستبطنه في أعماق وجداننا ونغذيه بأحاسيسنا وأحلامنا وننميه بخلجات قلوبنا وعقولنا ثم نولده في ألم التجربة وفيض المعاناة. أما أن يأتي الشيء بواسطة ملك نورانيّ أو عروس جنّ نارية فيتبلغ المنتبئ والشاعر ويبلغان بدورهما، فهذا ما أعتبره إهانة لهما جميعاً. في هذه اللحظة قامت سيده راقية وقالت بلهجة الممازحة لتكسر حدّة الموقف وتعيد الأجواء إلى سابق بهجتها، افترض يا صاح أنك شاعرٌ وأنا الجنية التي توحى لك بغريب المعاني وشوارد القوافي، ألا ترضى بأن تكون مجرد وسيط؟

وضحك الرجل ضحكةً طويلةً ثم صمت فجأةً وأحنى رأسه وهو يقول: أيها الأصدقاء الكرام، إني أعتذر منكم لهذه الفجاجة والرعونة، الظاهر أنّ جوهرني لا زال جوهرًا بدويًا وإن كنت أتزيًا بزّي الحضارة وأجلس في مجالسها.

ليلي: أيها الخبيث الماكر، تعرف كيف تدافع عن نفسك بأقاصيص كاذبة تلفتها وتمثيلات مزورة. عسى أن تكون صديقتي ريتا قد عرفتك على حقيقتك كي لا تقع في أحابيلك ظنًا منها أنك تملك فكرًا جميلًا يجذب عشاق الجمال إليه.

ريتا: ولكن كلام حسام جميلٌ كجمال محيّا ولا أظنّ أنّ من ينجذب يندم. صونيا: ولكنه يملك قدرةً على المماحكة وتزويق الكلام واللعب على تناقضات معانيه تماما كمهرج السيرك يضحك الجميع ولا أحد يعرف حقيقة مشاعره.

سليمان: أن يقدّم الإنسان البهجة للآخرين عمل خير وجميل فهذا يعني أنه قدّم للآخرين خير ما يملك وترك لنفسه شرّ ما يملك وأنا أتمثل حسام رجلاً خيرًا يحرص على إسعاد الآخرين لأنه يعتبر سعادته الفردية جزءاً من سعادة الجماعة.

ومن يحرص على سعادة الآخرين يحرص أيضاً على كرامتهم لأنه يعتبر وبنفس الوتيرة أنّ كرامته جزءٌ من كرامة الآخرين. وهذه الأشياء لا يستطيع أن يقدّمها إلا رجلاً عادلاً يفهم أنّ العدالة هي وضع الأشياء في نصابها في إطار أحكام العقل وضرورة الزمن.

ليلي: أنتم الرجال تنصرون أحاكم ظالماً أو مظلوماً لأنكم على يقين تام في يقظة

وعيكم بأنكم سائرون حتماً باتجاه حرب جنسية بينكم وبين النساء ستلغي قيم عمرها آلاف السنوات لتستبدلها بقيم أخرى جديدة تفرزها جدليّة الصراع. حسام: أخاف في هذه القيم الجديدة أن يصبح القتل والقتال مهنتكم وعلينا نحن الغنج والدلال وجرّ الذبول.

ليلي: بل عليك أن تتوقع عصراً تزول فيه الحروب التي هي من إنتاج عبقريتكم ويزول فيها الزواج بمفهومه الكاثوليكي البطريركي وتزول المفاهيم الشوفينية والقومية للأوطان والشعوب.

سليمان: عندها سيغدو العقل سيداً والمنطق حاكماً لأنّ البشر لا يتقاطعون على اختلافهم في الأحاسيس والأنواق والعادات والفنون إلّا على منطلق العقل. وعندها نستطيع أن نسمي العقل بأسماء أخرى فنقول مثلاً العقل هو حبّ الخير العام أو العقل هو حبّ التوازن والإعتدال العادل.

صونيا: لماذا لا نقول عندئذ العقل هو الله ونعبده جميعاً؟

سليمان: الله برأبي أسمى من العقل وإن كان العقل بمنزلة ابنه البكر الوحيد. أمّا سبب ذلك عندي فهو أنّ الله يشارك العقل في صفة الوجود بل يشاركنا جميعاً في هذه الصفة أو لنقل في هذا الجوهر الماهوي إذا أردنا التدقيق. ولكن الله يخالف جميع الموجودات بما فيهم العقل إنه منزّه غير قابل للتحديد وسرمديّ لا يتغير بتغير صيرورة الزمان والمكان والنشوء والتولد والتطور والإرتقاء. العقل هو بهاء الله وليس الله.

صونيا: ولماذا كل هذا التعقيد فأله موجودٌ وهذا يكفي.

سليمان: لا يا سيدتي فالوجود يدخل ضمن الزمان والمكان والله لا يدخل والموجود مهما كبر أو صغر يحدّد والله لا يحدّد، والموجود يوجد في مكان وتخلو منه بقية الأمكنة وفي زمان وتخلو منه بقية الأزمنة وهو يخضع لقوانين الطبيعة والله ليس كذلك. فالله موجودٌ كما نحن موجودون ولكنه منزّه لا يدخل تحت الأسماء والصفات وصيرورة الزمان والمكان ولا تحيط به العقول والأوهام وإن كان نور عقله الكليّ دائم الإشراق على مرايا عقولنا الجزئية.

صونيا: دائماً تعبثون بمنهجية المحاورّة. نحن بصدد التكلم فقط عن الحبّ ولقد تكلم حتى الآن كل من ليلي وريتا وحسام والآن دورك أيها الصديق سليمان.

سليمان: دعونا نتصور الحبّ طاقةً نفسيةً جسديةً تدفعنا باتجاه ما نحتاج اليه من الجمال. أو بعبارة أخرى نحن جميعنا نشعر بحياتنا المدرحية إلى شيء نفتقر إليه، شيء نعلمه قريب منا بعيد عنا، شيء لا ندري أين نعثر عليه بالضبط. هل

نبدأ بالتفتيش عنه داخل أنفسنا أم نراه متمظها في محسوسات الطبيعة الخارجية، إنني أعتقد أنّ هذا الشعور بالفقر الدائم هو سمة المخلوقات الفانية من جهة وشعور من كانت طبيعته التطور والإرتقاء باستمرار الحركة الدائمة من جهة أخرى.

صونيا: رجاءً لا تخط الأمور ببعضها. فدد لنا آراءك رأياً رأياً. قلت أولاً إنّ الحب حركة باتجاه الجمال.

سليمان: بل قلت إنه حركة النفس المستمرة باتجاه الجمال. إنها حركة لا تنقطع أبداً وترافق الإنسان عبر حياته المتتابعة لأنّ غاية الإنسان أن يسعى باتجاه سعاده وكماله، والسعادة والكمال هما إمتلاك الجمال، هنا قد تسألين وما هو الجمال الذي نسعى دائماً لإمتلاكه أو للخلود فيه. والإجابة على هذا السؤال صعبٌ ولكن من الممكن تسليط بعض الأضواء. الشيء لكي يكون جميلاً يجب أن يكون بسيطاً لأن المركبات مصيرها التحلل إلى العناصر التي تركبت منها. ويجب أن يكون خالداً لأن الفاني مهما بلغ من العز والرفعة مصيره الإضمحلال والتلاشي. وبما أن صفتي البساطة والخلود ليستا من صفات عالم الكون والفساد، فعالمنا اذن لا يحتوي على الجمال بمعناه الكلي المطلق بل يحتوي في تركيباته على نسب جمالية تزيد أم تنقص حسب اقترابها من توازن الإعتدال العادل أو إبتعادها عنه.

ليلي: كلامك إحتقارٌ للوجود كما هو موجود. وبما أن لا شيء موجود إلا في هذا الوجود يصبح كلامك عبث أطفال وتزاويق جمل لها رنينٌ في الأذن وخالية من أي معنى متناسق.

حسام: لا تكوني قاسيةً وظالمةً رغم أنني لا زلت أتذكر قولتي لسليمان في سهرة تمتعنا بها سوية الأسبوع الفائت، بأن سرّ جاذبية المرأة وإغوائها للرجل وتحريك رغباته حتى الوصول بها إلى حافة الجنون هو تمظهرها بقسوة تستبطن غنجا، وبتعدّ يستبطن تحبباً فكأنني بها ساعتئذ كجبل بركاني مكلل بالثلوج في قلبه تنصهر النيران وتلتهب. ولا زلت أتذكر أنني قلت لصديق آخر كان برفقتنا واسمه يوسف، نهده المرأة كحجر الصوان تتلمسه فتجده قاسياً بارداً فإذا قدحته بزناد الشفتين إنبعث منه شرر النار المستودع في جوهره فأرغى وأزبد وأحرق واحترق.

ليلي: الرجال دائماً يغمزون في قناة المرأة لأنهم يعلمون أنها لا تستطيع أن تمارس الحب الجسدي إلا وهي منبطحه ولا تستطيع أن تمارس الأمومة وتتجب الأطفال إلا وهي منبطحه، فأصبح الإنبطاح وكأنه لعنة كتبت على جبينها والرجل الإنتهازي دائماً يذكرها بذلك.

سليمان: لا تحولي الدعابة إلى مأساة، فالمرأة لا تستطيع أن تكون إلا ذاتها فإذا خرجت من حقائق ذاتها فقدت خصائص وجودها.

ليلي: إنني أعلم أنكم معشر الرجال تتباهون بأكتافكم العريضة ومناكبكم الواسعة وتحترقون أرداف المرأة الواسعة، وبعضكم يقول أنّ تلك الأرداف العريضة الممتلئة تجذب المرأة باستمرار إلى الأسفل، إلى عبودية اللذة ورقّ الأمومة، أنا أعرف كيف تفكرون.

حسام: ولكننا معشر الرجال نهيم جداً بالأرداف الممتلئة وخصوصاً إذا رأيناها تتبض تحت الحرير الشفاف أو المخمل الدافئ. ما تظنينه علامة ضعف هو برأينا علامة قوة. امرأة بلا ردفين مترجرين يحاولان إقعاها كلما همت بالقيام هي امرأة لا تساوي شيئاً برأبي.

ليلي: هذا لأنك لا ترى في المرأة إلا جسداً يحرك غرائزك الملعونة ويشبع نهمك إلى الموبقات.

سليمان: دعونا نؤطر الكلام بأطر منطقية لنخرجه من دائرة الإنفعالات فيسهل علينا فهم أنفسنا. أنا شخصياً إستوحيت من قول ليلي وحسام أن هناك نوعين من الحب، واحدٌ جسديٌّ مركبٌ فاني وآخر روحانيٌّ بسيطٌ خالد. الحبّ المركب حبّ يحاكي طبيعة الجسد المركب من العناصر الأمهات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وكما تكمن صحة الجسد وسعادته في التوازن بين هذه العناصر وعدم تحكم بعضها بالبعض الآخر، هكذا الحب الجسديّ الذي هو بمنزلة الحرارة من المركبات سعادته تكمن في توازنه مع البرودة لتتولد الرطوبة المطلوبة للإنتعاش. وإذا كان الشيء بطبيعته يتحرك باتجاه كماله وجماله فالحبّ الجسديّ الذي هو الحرارة يتحرك باتجاه كماله أي باتجاه البرودة ليتوازن معها فيهدأ ويستكين. وهذا الحبّ الجسديّ مصيبته أنه يراهن على المتغيرات لأن طبائع الأجساد في تغيير مستمر عبر الزمن وكذلك حاجاته وأهواؤه وبالنهاية يضمحل الجسد ويفنى فيضمحل كل ما كان متعلقاً به ودائراً على محوره.

صونيا: كلامٌ معقولٌ في بعض جوانبه وقد يكون مخطئاً في البعض الآخر، لأن الشيء وكما قلت يتحرك باتجاه ما يفتقر إليه ونار الحبّ الجسديّ تتحرك نحو البرودة. ولكن لماذا لا نقول إنّ نار الحبّ الجسديّ تتحرك نحو مزيد من النار أو تتحرك نحو ديمومتها في النار أو لنقل كلاماً أوضح بما أن نار الجسد هي نارٌ فانيةٌ فهي تتحرك باتجاه خلودها أي الإنتقال من كونها ناراً فانيةً إلى كونها ناراً خالدةً على مبدأ أن كل الأشياء الفانية تستبطن في جوهرها سعيها إلى الخلود.

سليمان: ولكن يجب ألا ننسى أنه في عالم الوجود تتولد الأضداد من بعضها وهكذا لا يتولد من الحرارة الطبيعية إلا برودة طبيعية وتكون العلاقة بين الحرارة والبرودة وحدة وصراع أضداد فيصبح الحبّ الجسدانيّ وحدة وصراع أضداد بين الحرارة والبرودة فإذا انتصرت الحرارة نصراً حاسماً فقد الحبّ طبيعته ووجوده وتمظهر طبيعته أخرى ووجوداً آخر، كأن يتمظهر غضباً أم تمرداً أو جنوناً أو ثورة. وبالعكس إذا انتصرت البرودة نصراً حاسماً حصل الشيء نفسه وتمظهر الحبّ بلادةً أو شروداً أو جبناً أو إحباطاً.

ريتا: فهنا الكثير عن الحبّ الجسدانيّ وإن كنا لم نقتنع ولكن هلاً حدثتنا عن الحبّ الروحانيّ البسيط الخالد.

سليمان: كلنا يعرف أن النفس الأنسانية جوهرٌ روحانيّ بسيطٌ خالدٌ. وكلنا يعرف أنّ سعادة هذه النفس هي في طلب الأشياء لذاتها لا في طلب الأشياء لغيرها وأظنّ أنّ كل من إشتغل بالفلسفة يعرف أنّ الشيء الذي يطلب لذاته لا لغيره هو كمال الجمال. فنحن مثلاً إذا طلبنا المال نطلبه لغيره أي لنشتري به أدوات إستهلاكية تساعدنا على حياة الترف، ولكن الجمال البسيط الروحانيّ الخالد يطلب لذاته وهو غاية الغايات ونهاية السعادات. وهذا الجمال الذي نلمح تمظهراته في بعض موجودات الطبيعة هو الذي تتلهف له النفس وتعشقه فلا تطيق له فراقاً. نحن نلمح الإنسجام في ألوان زهرة بريّة تتعلق نفوسنا بتلك الزهرة سواء عرفنا لماذا أم لم نعرف. نرى الجمال قد تمظهر في جسد فتاة يكشف عن سرّه في تناسق الأعضاء وتناغم ألوان البشرة مع الشفتين مع العينين. نرى هذا التناغم بين الخصر الذي يكاد ينقطع من فرط رهافته والردف المتناقل بمواسمه الغناء. عندها نتأكد أننا على اتصال بالجمال المطلق عبر هذا التمظهر المحسوس. ونسمع بعض القصائد والخطب والمحاورات فنرى أنّ الكلمات متناغمةً والجمل متناسقةً والمعاني متألّفةً عندها نلمح الجمال المطلق يطل برأسه وسط هذا التمظهر المحسوس للكلمات والإيقاعات. أيّ واحد منا عندما يؤدي عملاً متناسقاً في عناصره متناغماً في أسبابه ونتائجه يشعر بأنه قام بعمل جميل يشعر بأن عيون الناس وقلوبهم قد تعلقت بهذا العمل الجميل. إنه تمظهر المجرّد بالمحسوس والكلّي بالجزئيّ والخالد بالفاني.

صونيا: هناك رأيٌ يقول إنّ الحضارة تولد مزيداً من الحبّ والحبّ يولد مزيداً من الحضارة، فما رأيك في ذلك؟

ريتا: إذا كانت الإباحية والتعددية وكميّة ونوعيّة الممارسة تعني برأيك الحبّ، فحضارة النصف الثاني من القرن العشرين تشهد تفوقاً في الحبّ.

صونيا: دعوني أوضح فكرتي. الحبّ حسب رأيي هو الأكثر نعومةً وليونةً ومرونةً. إنّه عدو الغلظة والقسوة والظلم ولذا يختار الحبّ دائماً الأمكنة الأكثر رقةً ليحل فيها ويعيش مطمئناً. ولما كانت الحضارة الحقيقية هي صقل شخصية الإنسان لإزالة الفضلات منها وتحويلها إلى نموذج عاقل جميل مهذب يعرف كيف يجذب إلى كل شيء منظم ومتناغم وهادف. ويزور عن كل شيء مشوش ومتنافر وعبثي عندها تصبح الحضارة والحبّ وجهان لحقيقة واحدة. أليس المفروض بالعاشق أن يكون أكثر رقةً ودمائةً وتهذيباً من سواه؟ أليس المفروض به أن يكون أكثر تعاطفاً مع المعذبين والمذلين المهانين ومتطوعاً مجانياً لبسمة جراحهم والتلذذ بهذا الدور الذي يقوم به؟ أليس الحبّ عدواً للأقوياء الذين تتمظهر قوتهم إستبداداً بالضعفاء؟ هل إستطاع أحدٌ عبر التاريخ أن يتحدى الأقوياء إلاّ العشاق؟ من الذي تحدى رغبات الملوك غير عذراوات ضعيفات عشقن جمال الروح في رجل بسيط فضله على الملوك وناضلن من أجل اختيارهنّ الحرّ ودفعن حياتهنّ أو ترهبنّ نتيجة ذلك؟ ومن الذي تحدى رغبات الفاتحين الطغاة غير عشاق أحبوا مجتمعهم وأرضهم فناضلوا من أجل كرامتها وزكوا عشقهم بدمائهم؟ ومن الذين تحدوا عبادة الأصنام والطقوس ورفضوا الركوع أمام أوثان الشعائر والتنظيمات الكهنوتية غير عشاق أحبوا الله فحلّ الله في قلوبهم وحلّوا هم في قلبه فصرخت أجسادهم ونفوسهم صرخات الإنعتاق الكبرى وكانت الشطحات واللمعات فتكلم المعشوق بلغة العاشق وتماهي العاشق بالمعشوق. أيها السادة الحبّ برأيي حضارة تروّض ما هو بربريٌّ في طبائعنا وتدجّن ما هو عدوانيٌّ وتليّن ما هو صلب وتنظّم ما هو مشوش. الحبّ برأيي يجعل الإنسان يتصالح مع نفسه أولاً ومع مجتمعه ثانياً ومع الإنسانية بأكملها ثالثاً. فطوبى لمن ولد من رحم أمه مرتين. الأم الأولى هي عشتروت اللحم والدم والتراب المحسوس. والأم الثانية هي عشتروت المطلق البسيط الروحانيّ الذي يؤمن صديقنا سليمان حتماً بوجودها وربما يؤدي لها بعض شعائر العبادة.

ليلي: أعتقد أنّ ما قاله سليمان في مفهوم الجمال لا يختلف في جوهر مضمونه عمّا قالته ريتا. التناغم والإنسجام وتمظهر المجرّد بالمحسوس وهو في مجمله كلامٌ إنشائيٌّ ممضوغٌ يعود في أصله إلى بعض مقولات أفلاطون الذي كان يؤمن بوجود عالمين واحدٌ حقيقيٌّ هو عالم المثل وآخرٌ شبحيٌّ هو عالم المحسوسات منزلته من عالم المثل كمنزلة الظلّ من صاحبه.

سليمان: كلامي في ظاهر الأمر يشبه كلام ريتا التي يستدل من عباراتها أنّ لها خلفيةً

أفلاطونية. ولكن مفاهيمي مغايرة تماماً لأنني لا أومن بثنائيتة المجرد والمحسوس والكلّي والجزئيّ، وعالم المثل وعالم الكون والفساد. لأنّ المجرد هو في المحسوس والكلّي هو في الجزئيّ وعالم المثل هو في قلب عالم الكون. وفرضية إنقسامها إلى عالمين مستقلين فرضية خاطئة. لا يمكن تصور وجود نفس عاقلة خارج إطار الجسد ولا جسد قائم بذاته خارج إطار النفس، ولا ماهية كلية بسيطة خالدة خارج إطار محسوس جزئيّ مركب قابل للتفكك وإعادة التمثّل من جديد. لا يمكن وجود جمال مطلق إلاّ في موجودات جميلة جزئية محسوسة ولا موجودات جميلة جزئية محسوسة إلاّ بجوهر جمال مطلق. فالكل والجزء والمحسوس والمجرد في وحدة صراع، أصداد غير قابلة للإنقسام. أنا أعرف أنني موجودٌ واقعيٌّ أملك جسداً مؤلفاً من عناصر مركبة، وأن جسدي قابلٌ للزيادة والنقصان في الطول والعرض والوزن، وأعرف أن هذا الجسد في حالة حركة مستمرة وتغيير مستمر في خلاياه وأنسجته وهو جزئيّ يشغل حيزاً في المكان وتخلو منه بقية الأمكنة. ولكنني أعرف أيضاً أن هذا الجسد هو إطارٌ لنفس عاقلة. الزمان والمكان في قبضتها وليست هي في قبضة الزمان والمكان. وهي تملك جوهر معرفة كليّ وإن كان يتمظهر تمظهراً جزئياً. ولهذا هي قادرةٌ أن ترى الكلّي في الجزئيّ والجزئيّ في الكلّي. قادرةٌ أن ترى الجمال في الموجودات الجميلة وترى الموجودات الجميلة تتخطف وتذوب في جوهر الجمال.

ليلي: عش رجباً ترى عجباً. أنت يا سيدي تقول كلاماً غير قابل للفهم، كلاماً يشبه كلام السحرة وكتابة التعاويذ وكهنة الهياكل السرية. كيف يكون الكلّ في الجزء والجزء في الكلّ والمجرد في المحسوس والمحسوس في المجرد والبسيط في المركب والمركب في البسيط وهذه متضادات إذا وجد الواحد منها إتغى وجود الآخر؟

سليمان: مسكينة أنت يا صديقتي ليلي، تحاولين أن تكوني ثورية الفكر والمسلك وإذا بك تتبنين فلسفات العصور الوسطى بشطريها الغربي المسيحي والشرقي الإسلامي. تلك الفلسفات التي جوهر معرفتها أنّ هناك عقولاً مفارقة تعيش فوق فلك القمر كما كان يقول الفارابي ذلك الحالم الكبير. تصوري ذلك الرجل الحالم كان يقول بفيض، عشرة عقول مفارقة من الذات الإلهية، العقل الأول هو المسؤول عن تدبير الفلك المحيط، والعقل الثاني هو المسؤول عن تدبير فلك الأبراج، والثالث عن المشتري، والرابع عن الشمس حتى الوصول إلى العقل العاشر المسؤول عن تدبير عالم الكون والفساد، أي الأرض وما عليها من المركبات والمخلوقات.



ليلي: وأي خلل في هذا التفكير؟

سليمان: ألا تشعرين بالخلل؟ إنّ عالم الأرض الذي سمّاه الفارابي عالم الكون والفساد وهو العالم الوحيد الذي يحوي كائناً عاقلاً هو الإنسان، وطبيعيّ أن العالم الذي تعقل موجوداته هو أشرف من العوالم التي تنتفي عن موجوداته صفتا العقل والحياة بهذا يصبح عالم الكون والفساد أشرف من العوالم التسعة الباقية ويصبح هو السيد المخدوم من قبل تلك العوالم لا التابع الخادم. السؤال هو كيف يدبّر العقل الأول عالم جمادات لا تعي وهو الإشراف ويدبّر العقل العاشر وهو الأدنى في الرتبة عالماً يعقل ويعي ويشعر ويحسّ؟ وسبب هذا التخريف برأيي هو إستناد فلسفات العصور الوسطى إلى رأي يقول إنّ النفس الإنسانية عندما تغادر الجسد تعيش في العالم العلويّ فوق فلك القمر وتتمتع هناك بسعادتها ومعرفتها. وبذلك جعلوا النفس قادرةً على ممارسة الوعي والسعادة واكتساب العمل خارج إطار جوارح الجسد فضلّوا بهذه الآراء وأضلّوا غيرهم.

ليلي: كلامك منطقيّ وأنا أسحب إعتراضي بل إنني أعتذر على تفكيري الصبياني. لقد وقعت في شرك الفكر الغيبيّ دون أي مبرر.

ريتا: سليمان، هل أنت حقاً لا تؤمن بوجود عشثروت سماويةً تعيش في عالم الألهة البسيط الخالد؟ هل أنت حقاً لا تؤمن بوجود عقول مفارقة تدبّر هذا الكون ولا تؤمن بأنّ النفس قادرة أن تمارس وعيها وسعادتها وتثاب وتعاقب خارج إطار الجسد؟

سليمان: لا يوجد عالمٌ أشرف من عالم النفس الإنسانيّة العاقلة وهي كما قلت سابقاً لا تستطيع أن تكتسب الوعي والعمل إلّا من خلال جوارح الجسد. وإذا كان الجسد بجوارحه لا يستطيع أن يتعامل إلّا مع موجودات جزئية محسوسة مركبة دائمة التغيير والتبدّل لأنها مفطورةً على الحركة المستمرة، فالنفس العاقلة تستطيع من هذه الموجودات الفرديّة الجزئيّة المركبة المتغيرة أن تبدع موجودات كليّة بسيطة مجردة.

صونيا: هذا كلامٌ خطيرٌ، تريد أن تقول أنّه لا يوجد كليات مجردة بسيطة خالدة إلّا في جوهر النفس الإنسانيّة العاقلة؟

سليمان: بالطبع وهل كنت تتصورين وجود الحق والخير والجمال والعدالة في أمكنة معينة وبأشكال معينة كما حاول بعض متفلسفو العصور الوسطى القول بأنّ المثل في عالمها الفوقيّ الروحانيّ هي عبارة عن دوائر نورانية مثبتة حول عرش الربّ وهي في حالة تأمل دائم لجمال وجلال عزته.

ريتا: ولكن يقال أنّ الإنسان وجد في هذا الكون بالصدفة وتطوّر بقفزات نوعية بالصدفة وكان من الممكن ألا يوجد على الإطلاق ومن الممكن أن يختفي الآن وفي أيّ لحظة لسبب أو لآخر، فهل معنى ذلك أنّه لو تصورنا الإنسان غير موجود لكانت كلّ المثل العليا غير موجودة؟

حسام: دعونا نعود إلى موضوعنا الرئيسي الحبّ، لو لم يكن الإنسان موجوداً هل كان هناك شيءٌ اسمه الحبّ؟

ليلي: طبعاً لا، فمن من المخلوقات يمارس رذيلة التملك غير الإنسان؟ ومن من المخلوقات يحاول مصادرة عقل مخلوق آخر وحرّيته غير الإنسان؟ ريتا: ومن من المخلوقات يعرف معنى التناغم والتناسق والإنسجام غير الإنسان؟ صونيا: أظنّ الوجود بأكمله وجد بالإنسان ولذا تصوّر وجود بغير إنسان تصوّرٌ ينشأ عنه استحالة.

حسام: الإنسان الإنسان ولا شيء يهان ويذل هذه الأيام مثل الإنسان. يبيعون مثله العليا في المزايدات العلنية من أجل حفنة من الدولارات، يستغلون جسده الجميل لترويج أصناف السجائر والمشروبات. يستغلون عقله لإنتاج المخدرات الكيميائية. يستغلون حماسه لتفجير الحروب الدينيّة والعريقيّة. مسكينٌ هذا الإنسان من ينقذه؟ وكيف ومتى؟

سليمان: لا شيء ينقذه إلاّ الحبّ، أمّا كيف ينقذه فبتنمية الشعور الجماليّ لديه، ومتى؟ ساعة نعود إلى قول السيد: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

الجميع: من ينقذ الإنسان؟ لا شيء إلاّ الحبّ. كيف ينقذ الحبّ الإنسان؟ بتنمية الشعور الجماليّ لديه. ومتى ينقذ الحبّ الإنسان؟ عندما يعود إلى قول السيد: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.